هيلعلاوه

كيف نفهم حقيقة التوحيد في الصائب؟

تحليل لقصة موسى والخضر عليهما السلام

ألقاها في الجلسة الأولى - ١٤٢٢هـ - سنة الثامنة في زمرة أبناء عشر

اهاقلا ةرضاحم
يّنيسحلا نسحم دّمحم دّيسلا جاحلا الله ةيآ
هرسم الله سّدق

@MadrastAlwahy

أعوذ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم
بسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيم
أبي القاسم محمدٍ النبيِّ الأمينِ وعلى آلهِ الطيِّبينَ الطاهرينَ
صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وعلى أعدائهم أجمعينَ
واللعنةُ

مفاتيح الدعاء: كيف نرى الله في الشدائد؟

فكأنّي أقول: **«بِأَبْوابِ الدُّعاءِ لِلِّذي كَ لِلصّارِخينَ مَقْوُتَحَةٌ»** لأنّ الفقرات تنتهي عند قوله: **«بِمَوْضِعِ إِجابَةٍ»** أي في مقام الإجابة. يا إلهي، أنا أعلم أنّك للذين يأملون ويرجون **«وَلِلَّذينَ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الظُّلْمُ يَتَحَسَّرونَ عَلى يَدَيْ حُقوقِهِمْ فَاللَّهُمَّ وَ»** يعني الحسرة والتأسّف والظلم، ومن يقع عليه الظلم يقال له ملهوف - أنت في مقام نجدتهم. **«أَنْ فِي اللَّهُمَّ إِلى جُودِكَ»** أي وأعلم يقيناً أنّ في التوجّه والشوق لجودك، والرضا بقضائك...، فأنا راضٍ بما تحكم به وتقدّره لعبادك. الذين يرضون بما تقدّره لهم ولا يعترضون، فلا يقولون: لِمَ لم تجعلني مكان فلان يا إلهي؟ لِمَ وضعتَ فلاناً مكاني أو لِمَ تضعه؟ لِمَ يجب أن أُبتلى أنا وحدي بهذه المسألة؟ لِمَ ذاك؟ ولِمَ هذا؟ لا، فالذين يرضون بقضائك، فإنّ هذا اللهف إلى جودك والرضا بقضائك **«عِوَضاً مِنْ مَنْعِ الْبَخِيلِ»** أي يمكن أن يكونوا بديلاً عن منع البخلاء. **«وَمَوْضُوعَةً عَمّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَأْثِرِينَ»** أي وفيه غنى وسعة عن الذي في أيدي من يطلبون الأشياء لأنفسهم.

إنّ كلّ هذه الفقرات والمعاني تصبّ في اتجاه واحد. فأنا أعلم أنّ أمل الذين يأملون فيك ليس في غير محلّه؛ وأعلم أنّ الذين وقع عليهم الظلم، هناك من يجبر ظلمهم ويخرجهم من تحت وطأته ويكون لهم مأوى. **«وَأَنَّ فِي اللَّهُمَّ إِلى جُودِكَ»** أي إنّ في التوجّه إلى جودك والرضا بقضائك بديلاً مناسباً عن منع البخلاء وغنىً عما في أيدي المستأثرين، الذين يطلبون لأنفسهم ويجمعون لها. يقول الإمام السجاد عليه السلام أنا أعلم، وقد وصلتني هذه العلم. والإمام لا يخطئ، ولا يقول خلاف الواقع حاشا لله. **«وَأَعْلَمُ»** أي أنا أعلم، لقد بلغتني هذه الدرجة من العلم بأنّ الذين يأملون فيك، والذين وقع عليهم الظلم ويتحسّرون للوصول إليك

وإلى نعمك، أنت في المقام المناسب لإغاثتهم. وكلّ من يرضى بقضائك ويتوجّه إلى جودك وإحسانك، فإنّه «عِوَضٌ مِنْ مَنْعِ الْبَاخِلِينَ» أي هو في غنى عن منع الباخلين الذين يبخلون. «وَمَنْدُوحَةٌ عَمَّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَأْثِرِينَ» أي وفي سعته غنى عمّا في أيدي الذين يطلبون لأنفسهم ويجمعون لها.

حسنًا، هذه كانت الترجمة الحرفية لهذه الفقرات. ولكن، لِمَ يكون الله تعالى في موضع الإجابة؟ ولماذا يكون في مقام نجدة الذين وقع عليهم الظلم ويتحسّرون على بلوغ حقّهم؟ ولماذا يمكن للراضي بقضاء الله أن يكون عوضًا عن منع الباخلين والمستأثرين بما في أيديهم؟ ما هو سبب ذلك؟

لماذا نخطئ في فهم مجريات حياتنا؟

إنّ سبب هذه المسألة يمكن أن يعود إلى علل وعوامل متعدّدة، والاطّلاع على هذه العلل يصحّح رؤية الإنسان في علاقته بربّه ويربطه بذلك المبدأ، ويمكن أن يخرجه من هذه الكثرات والتعلّقات، ويوصله إلى مرتبة الطمأنينة والسكينة.

النقطة المهمّة ومحور الحديث في كلام الإمام السجّاد عليه السلام تكمن في كيفيّة رؤية الإنسان لسلسلة العلل والأسباب. فكلّ المشاكل التي نواجهها في هذه الدنيا تعود إلى أننا أخطأنا في فهم سلسلة العلل والأسباب؛ فنحن نفترضها على نحو خاطئ، فنضع العلّة مكان المعلول، والسبب مكان المسبِّب، والمؤثِّر مكان المتأثِّر. وهذه أعيننا المريضة والناعسة ـ هل رأيتم العين الناعسة؟ ـ حين يستيقظ المرء من نومه لا يستطيع أن يرى ما أمامه جيّدًا. فيذهب فجأة فيصطدم رأسه بالباب؛ لأنه لم يره وظنه مفتوحًا، فهو لا يزال ناعسًا. فيُقال له: «يا هذا، افرك عينيك قليلًا، لقد استيقظت للتوّ، اغسل وجهك بالماء لترى جيدًا!». لماذا يحدث هذا؟ لأنّ العين كانت في ظلام دامس لساعات، فخلايا الشبكيّة لم تكن مستعدّة بعد لاستقبال النور، فتواجه صعوبة في التقاط الصورة؛ فكما تعلمون، لدينا نوعان من الخلايا في الشبكيّة: الخلايا العصوية والخلايا المخروطيّة، وعملهما يختلف؛ ففي النهار تعمل المخروطيّة وفي الليل تعمل العصوية التي تكون قاعدة سطحها أكبر لتتمكن من عكس المزيد من الضوء. وعندما تكون العين مغمضة لفترة طويلة ثمّ نفتحها، تكون حالتها الأوليّة غير طبيعيّة بعض الشيء. وفي الرواية ورد ما معناه: **«مَنْ أَحَبَّ كَرِيمَتَيْهِ فَلَا يَكْتُبْ أَوْ لَا يَقْرَأْ بَعْدَ الْعَصْرِ»**[1] أي من يحبّ عينيه، فلا ينبغي له أن يقرأ عند الغروب، أي بعد العصر وقبيل

1: **مطلع انوار**، ج ١، ص ٢٩٣: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: **«من أحب كريمتاه* لم يكتب بعد العصر».**

* كذا وردت ولعلّ الوجه في كونها بالرفع أنّ كلمة كريمتاه صارت اسم علم للعينين كما يقال في الأجدّان والجديدان أنّهما علم على الليل والنهار فلا تتغيّر حالتهما الإعرابيّة.

هذا وقد وردت في مصادر أخرى بالجرّ وقال العجلوني في **كشف الخفاء** ج ٢ ص ٢٢٩: **«من أكرم حبيبتيه فلا يكتب بعد العصر»** قال في المقاصد لم يثبت في المرفوع ولكن أوصى الإمام أحمد بعض أصحابه أن لا ينظر بعد العصر في كتاب

نولوؤسملاف ؛بورغلا تقو اهراودأ لدابتت نأ ديرت نيعلا ةمدخ ةزهجأ نلأ كلذو .بورغلا

لامعأ مهماهم اوملسي نأ نوديري غامدلا بصع ةلسلس ىلإ هلاسرإو ءوضلا ساكعنا نع ةبوذ ليللا ،يفو ءانثأ اذه ميلستلا ملستلاو ثدحت ضعب لكاشملا .اذل ،يطخي ناسنلإا ًانايحأ

لا نيذلا بلاطلا ةصاخ ،تقولا كلذ يف علاطي نأ هل يغبني لاو ،بورغلا دنع ةيؤرلا يف ريديون تضييع فرصة المطالعة والاستفادة منها، ولكن ذلك مضرّ.

خيشلا لوقي ـ جاعزنلااو ساعنلاو ضرملا ينعي دمرلاو ـ"دَمَر" مهنيعأ يف نيذلا حمود الشبستري رحمه الله في أشعاره الرائعة حقًا:

«رهاظم زج دنيبن رهاظ زا هک** رهاظ لها مشچ ود دراد دمر»

:لوقي

رهاظملا لاإ رهاظلا نم نوري لاف** دَمَر رهاظلا لها نيعأ يف

إنها مريضة، ناعسة، ترى الأشياء على غير حقيقتها، ترى الصورة مشوّهة. إنّ أهل الظاهر مرضى لأنّهم لا يرون من الظاهر إلا المظاهر، أي لا يرون سوى هذه الصور. يرون الشاشة التي تُعرض عليها الصور تباعًا، لكنّهم لا يعرفون أنّ من يمسك بمقبض جهاز العرض يجلس خلف الستار. هم فقط يرون الصور، وذاك يفتح المقبض فتظهر الصور، فيرون هذه الصور تأتي وتذهب وتلعب مع بعضها وتقفز إلى أعلى وأسفل، فيقولون: «عجبًا!». ولكن لو أغلق ذاك المقبض فجأة، فماذا سيحدث للشاشة كلّها؟ ستُظلم، ولن يرى شيئًا؛ فهو لا يرى من الظاهر إلا المظاهر.

نيرخلآا مول نع ةيوبرت ةّصق

بارطضلاا نم يناعنو ،أطخلا يف عقن ام اًمئاد بابسلأاو للعلا ةلسلس يف نحن انسفنأ نع بويعلا عفدن نأ ديرن ؛كاذو اذه ىلإ روملأا بسنن نأ اًمئاد ديرن .فعضلاو

،ةيبوزعلا ةرتف يف ،ربكلأا يخأو انأ مق يف سردن ّانك امدنع ركذأ .اهيلإ نساحملا بسننو

تافلاتخلاا ضعب ًانايحأ ثدحتت ناك ،ةزوحلا يف بلاطلا تارجحن مةرجحي فنكسنّانكو يرجتتناك اذكهو ،ّيلإ رملأا بسنُيف ،ريصقتلا ضعب يّنم ردصي ناكو ،رظنلا تاهجو يف **ةملاعلا موحرملا** ناك .رومأايتشرّف بزيارتنا في قم أحيانًا ويلقي نظرة على حجرتنا، فكنّا نذهب إليه ونشتكي من وضع الحجرة، وكان أخي بدوره يلقي باللوم عليّ ويقول: «المشكلة منه، هو الذي يقصّر ولا يقوم بواجبه». وكان **ةملاعلا موحرملا**يضحك. وفي مرّة من المرّات، أتى فبدأنا كعادتنا بالشكوى، فقاطعنا فجأة وقال: «أريد أن أقول لكم شيئًا هذه المرّة؛

نم: ظفلب مدقتو .هينيع ةيد نم لكأي امنإ قاروا :هبقانم يف يقهيبلا هجرخأ اميف يعفاشلا لاقو هريغو بيطخلا هجرخأ -

(م) .ثيدحلا- «هيتمير ك بحا

إذا أتيت في المرّة القادمة ووجدت نقصًا، فقلت أنت: 'اللوم عليّ أنا'، وقال هو: 'اللوم عليّ أنا'، فعندها يكون أمركما قد استقام. اذهبا الآن واعملا على الوصول إلى هذه المرحلة، حينها فقط يمكن أن يُعتمد عليكما».

لفطلا ةريصبك كلاسلا ةيؤر

بشكل عام، إنّ النقص والعيب الموجود في نفس الإنسان يجعل توجّهنا وطلبنا دائمًا منصبًّا على المعلولات عند تحقّق الأحداث؛ وذلك لأنّنا نتعامل مع المعلولات والمسبَّبات أكثر. فالنفس الإنسانيّة التي تتعلّق بهذا الجسد في هذه الدنيا لا تزال بحاجة إلى قطع طريق طويل للوصول إلى عالم التجرّد، تمامًا كالطفل الذي لا يملك القدرة على تحليل الأحداث ويرى الأمور من منظوره الناقص والخام والمحدود، ولا يستطيع تحليل القضايا أبعد من ذلك. ولكن عندما يكبر ويفكّر في تلك القضايا، يستطيع أن يصل إلى التحليل الصحيح للمسائل الماضية التي حدثت في طفولته. لماذا؟ لأنّ فكره نضج. في السابق كان يسمي الكهرباء "غولًا"، فعندما تصعقه الكهرباء كان يقول: «هناك غول في الداخل، في هذا الجدار». ولكن عندما يكبر، يدرك أن الجدار ليس إلا طينًا وآجرًّا، وأنّه لا وجود لغول، بل هو تيّار كهربائي إذا مرّ بالجسد فإنّه يوقف القلب. يفهم هذا لاحقًا، ولكنه في طفولته لا يفهم هذا الأمر؛ لأنّ فكره واستعداده لا يسع إدراك هذا السير المتردّد للكهرباء. وهو يخاف من الحقنة والدواء المرّ ويهرب منهما، فهو لا يرى إلا الألم الحالي. أما الشفاء الذي يأتي بعد هذا الألم، فهو لا يشعر به؛ والدا الطفل هما من يشعران بذلك الشفاء، أما الطفل فلا يشعر إلا بالألم. فهل رأيتم يومًا ما طفلًا يشكر والديه لأنّه معافى وأسنانه لا تؤلمه؟ هل رأيتم طفلًا في الخامسة أو العاشرة من عمره يأتي إلى أمّه ويقول: «شكرًا جزيلًا، بطني لا تؤلمني الآن»؟ الكلّ سيضحك! لماذا؟ لأن الطفل لا يفهم معنى الصحة، لا يفهم معنى عدم المرض. نعم، هو يفهم الألم، فما إن يبدأ وجع بطنه حتّى يعلو صراخه، وحينها يجب علاجه. فنقول له: «إذا أردت أن تشفى، يجب أن تأخذ هذه الحقنة»، فيقول: «لا، لا، هذه الحقنة مؤلمة». هو لا يدرك إلا الألم.

نحن هكذا تمامًا. ولكن عندما نكبر ـ إن شاء الله ـ يعلّموننا قاعدة في الصحّة والطب، ماذا تقول؟ قولوا بسرعة: «الوقاية خير من العلاج». هذه قاعدة، لمن تقال؟ تقال لمن يدرك معنى الصحّة. عندما يكبر الإنسان يدرك معنى الصحّة، أمّا عندما يكون صغيرًا فلا يدركه، بل يدرك معنى الألم فقط. وعندما يكبر، يدرك حينها أن هناك شيئًا اسمه الصحة. يقولون إن الصحة شيء واحد، أما المرض فما هو؟ آلاف الأشياء. فإن آلمك سنّك فلست بصحيح، ون آلمتك عينك فلست بصحيح، وكذلك ألم البطن والعظام. إذن، كم هي الصحّة؟ واحدة. ولكن كم هو المرض؟ ما لا نهاية له من الأمراض. هناك أمراض معروفة وأخرى مجهولة، وكلّ يوم يظهر شيء جديد.

لعفاذه:طقفرهاظملاو لولعملا ىلعهمامتها ّبصنيه،تارثكلا ملاعيفناسنلإا كلذك

كاذو أءوسلاق اذهو ،اًريقفكاذو أيزغحبصأ اذهو ،يئلافلا بصنملا ىلإ لصو اذهو ،اذكاذه ،أسوؤرمحبصأ كاذو ةسائرلا ىلّوتا اذه ،لًاهاجكاذو أملاعحبصأ اذهو ،اًريخلاق بابسلأاو للعلا ةلسلسو هملاعلا اذه يفناسنلإا هيلإ تفتليامل كـ ...بّصُنكاذو لزُع

الماديّة، أي عالم المعلولات. وهذا لأنّه لا يزال طفلًا، لم يكتشف العلة والجذر؛ لأنّه يفتقر إلى ذلك الاتّصال الحقيقيّ الذي يوجب تصحيح الفكر والسرّ والروح.

قصّة موسى والخضر: حين تلتقي الشريعة بالحقيقة

لا أدري هل ذكرت هذه المسألة في شرح "عنوان البصري" عندما كنت أتحدّث عن قضايا الخضر أم لا؟ قصّة الخضر عليه السلام قصّة عجيبة جدًّا وفيها أسرار، وكلّما تعمّق الإنسان فيها، وصل إلى مسائل جديدة. فموسى على نبيّنا وآله وعليه السلام نبيّ ورجل عظيم، وقد أدرك بعض المعارف، ولكنّه لم يكن قد بلغ مرتبة النضج الأقصوى بالنسبة للوصول إلى حقيقة التوحيد ونزول الفيوضات المختلفة الأنواع والمظاهر في عالم الكثرة.

فأراد الله أن يرفع هذا النقص عن موسى عليه السلام ويعرّفه بجميع مراتب التوحيد، طبعًا إلى الحدّ الذي لا يمكننا معه القول بأنّ جميع المراتب قد اتّضحت له، فتلك المراتب لا تتّضح إلا لرسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام. وبالطبع، يمكننا القول إنّه بناءً على بعض الروايات، ربّما يكون قد وصل إلى هذه المراتب بعض أفراد أمّة رسول الله، وهو ما نعبّر عنه بالبقاء الأتمّ.[1]

---

[1]: المراد بالبقاء هنا مرحلة البقاء بعد الفناء، ففي اصطلاح العرفاء وأهل السير والسلوك يمرّ الإنسان في ثلاث مراحل:

مرحلة ما قبل الفناء: هي مرحلة غلبة الكثرات والعلل، والتي يعيش فيها حالة الشرك ويطغى فيها الكثرات قيمة ذاتيّة، ولا يكون قد وصل في هذه المرحلة بعد إلى حقيقة التوحيد.

مرحلة الفناء: هي مرحلة غلبة الوحدة والوصول إلى حقيقة التوحيد أو أنّ الله هو الحقّ ودونه الباطل، وفيها يكتشف أنّ الموجودات لا وجود لها أصلًا، فلا يرى سوى الله ولا يشعر بعالم الكثرة أبدًا. نفسه وكأنّه الموجود الوحيد.

مرحلة البقاء بعد الفناء: هي مرحلة الوحدة في عين الكثرة، حيث يرى أنّ عالم الكثرة قائمة بالله تعالى فيطغى عالم الكثرة على عالم الوحدة. ويعطي عالم الوحدة حقّه.

ثمّ إنّ هناك عقيدتين أخريين لدى العرفاء:

وحدة الوجود: أنّ هذه المراحل قد يكون بالاختيار في عالم الدنيا عبر التربية والتزكية والسير والسلوك، وقد يكون في عالم البرزخ فنفخ الصور والقيامة عبر الموت وعقباته.

وحدة الشهود: أنّ ما يناله الإنسان في عالم البقاء بعد الفناء من إدراك للكثرة يتناسب مع ما كان قد أدركه في مرحلة ما قبل الفناء وطغى عليه من قوانين عالم الكثرة، أو أنّ ما يعرفه من الذات في مرحلة البقاء يتناسب مع ما بلغه من مراتب التوحيد في مرحلة الفناء، فإن بلغ الفناء الذاتي كان بقاؤه أتمّ، وإن بلغ الفناء في الصفات والأسماء كان بقاؤه فيها.

وبيد أنّ مسامحة السيّد رضوان الله عليه تتحدّث في اصطلاح البقاء عن البقاء في الذات بعد الفناء في الذات وهو الأمر الذي اختصّ به النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله دون سائر الأنبياء وقد تمّ من بعده. (لمزيد من التحقيق حول ذلك راجع: **أسرار الملكوت** ج ٢ ص ٤٩٣، **معرفة المعاد** ج ٦ ص ١٦٠، ج ٨ ص ٤٨)(م)

،مويلا يف مزرّملأ هيف عضتر ملو ،ةدلاولا دنعامهلاتكوميف اهلهفطم لأدلت .أدبأ الله ىلع عضتر لهف ؟ضرلا .نكلو

﴿ يِذَّلاَ ِتوَملاَ كُلَمَ مُكَّنفَوَتَي لقُ﴾ [1] ﴿تمُتَ مَلَ يِتَّلاَوَ اهتوَمَ نَيحِ سَفُنذَلأاَ ىَّفَوَتَي هُلَلاَّ﴾ :تومللا إنّ لوحلا ،مجرتملا وهنم ركذأ لا ،نآرقلل ةمجرتلا يف أرقأ تنك .تيميذلا وه الله [2] ﴿مُكِبَ لَّكَوُ بَيقَرَلاَ تَنأَ تَنُك يِنَتَيَّفَوَتَ امَّلَفَ﴾ :ىلاعت هلوق يف ملاسلا هيلع ىسيعلا ىلع انّيبنلا وآلاو [3] ﴿مهيَلَع﴾ ، كانت الترجمة تقول: «عندما قبضت روحي». ترجمة «قبض الروح» هنا خاطئة؛ فالمعنى ليس قبض الروح. لا تخطئوا، فعيسى عليه السلام لم تُقبض روحه، إنّه حيّ مثلنا، ومثل إمام الزمان عليه السلام، لكنّه في برزخ بين المادّة والمجرد، وهو ما يُعبّر عنه بالسماء الرابعة. وعندما يظهر بقيّة الله أرواحنا فداه إن شاء الله وينير أعيننا المريضة بنوره، سينزل عيسى عليه السلام من السماء ويقتدي به ويكون من أتباع وشيعة إمام الزمان عليه السلام. الأئمة عليهم السلام ماتوا، أمير المؤمنين عليه السلام مات، الإمام السجاد عليه السلام مات، ولكنّ إمام الزمان عليه السلام حيّ، وعيسى عليه السلام حيّ لم يمت؛ ﴿امَوَ [4] ﴿مُهَلَ ةِبُشِ نكِلَوَ ُهوُبَلَصَ امَوَ ُهوُلَتَقَ

؟تومللا كلم ىلع ضرتعي ملو رضخلا ىلع سوم ضرتعا اذامل

فالنبيّ موسى عليه السلام يرى الملائكة تقبض الأرواح ألف مرّة في اليوم. يمرّ إنسان إلى جانب جدار فينهار عليه ويموت. هل يُرى موسى عليه السلام يقول: «يا إلهي، لمَ حدث له هذا؟». كان عليه ألا يمرّ من هناك، لكنّه مرّ فانهار عليه الجدار. أو مثلاً، ربّما يكون هناك إنسان نائم تحت شجرة فينكسر غصنها فجأة ويقع على رأسه فيموت، فهل قال موسى عليه السلام يومًا: «يا إلهي، لمَ حدث هذا؟». هذا أمر طبيعيّ، إنّها علل طبيعيّة. أو يصعد رجل جبلاً فتزلّ قدمه ويسقط في الوادي، فهل يقول موسى عليه السلام: «يا ويلتاه! لمَ حدث هذا؟!». كان عليه ألاّ يصعد الجبل، لكنّه صعد... هل تسمعون يا أطفال؟ عندما تصعدون الجبل، كونوا حذرين، لا تركضوا، بل انتبهوا.

ةرشاعلا يف ملاغلا ىقتلت ىتأ ملاسلا هيلع رضخلا نأ ثدحف كيلا يلوقلا ،نآلا نسحأ ملاغلا اذهّنأ عم «؟ملاغلا اذه لتقتَم»: ضرتعم ملاسلا هيلع ىسوم تومف صعوه فرا مرمع نم

هسفنل ولو كان يمشي طقسو على الأرض سكان رأسه ماتَ، لماذا عتر ضرتعي ىسوم هيلع ملاسلا؟ لماذا نّأ ىسوم هيلع ملاسلا كان يرى لك ملاوحأ تايفولا ثدحتم لصتّ ةلسلسب ةلعلا

---

1. ٤٢ ةيلآا (٣٩) رمزلا ةروس
2. ١١ ةيلآا (٣٢) ةدجسلا ةروس
3. ١١٧ ةيلآا (٥) ةدئاملا ةروس
4. ١٥٧ ةيلآا (٤) ءاسنلا ةروس

انهو ،ةيضرعلا للعلا ةلسلسب ًلاصتم توملا اذه ىأر دقف ،رضخلا ةيضق يف امأ ،ةيلوطلا
.ةهبشلا هيدل تأشن

في الحقيقة، لو أنّ موسى عليه السلام كان قد درس الفلسفة! ـ أستغفر الله ربّي وأتوب إليه، فنحن لا نصلح أن نكون تلاميذ لموسى عليه السلام، ولا نبلغ قيمة ظفر من أظفاره! ولكنّا نمزح قليلاً، فطلاّب العلم يمزحون عادة، ولا بأس أن يمزح المرء مع الأنبياء، وإن شاء الله لن يغضبوا منا ـ لكان قد علم أنّ سلسلة العلل العرضيّة هي في طول سلسلة العلل الطوليّة. طبعًا، موسى عليه السلام الآن هو نفسه معلّم للملأ صدرا في ذلك العالم، يعلّمه المعارف ويقول له: «ما أثبتَّه أنت بالفهم والإدراك والفكر، نحن شاهدناه رأي العين وبالقلب، فنحن نسبقك بكثير».

نمض ًلاعاف ناك ،لفطلا كلذ حبذي ناك امدنع ملاسلا هيلعو هلآو انّيبن ىلع رضخلا ّنإ
ىلإ ًاتفتلم تقولا كلذ يف ناك ملاسلا هيلع ىسوم ّنلأو .ةّيضرعلا لا ،ةّيلوطلا للعلا ةلسلس
امهطابترا يف درّجملاو يّداملا نيب فلاتخلاا مدع ةلأسم ّلحي نأ عطتسي ملو رهاظملا بناج
لهف ،رضخلا نم ًلادب كلذ لعفو ىتأ نم وه توملا كلم نأ ول ،نكلو .ضرتعا دقف ،أدبملاب
كلمف ؟ةداملا ملاعب هتقلاع امو ،توملا كلم كاذف !لا ؟ضرتعيس ملاسلا هيلع ىسوم ناك
أموي ؟هّلجس يف اذامو .ملاعلا كلذ نم لزني حابصّلك هطبإ تحت هعضي ّلجس هيدل توملا
صخش فلأ ىلع يضقيف ايقيرفإ ىلإ أموي و ،مق ىلإ أموي و ،نادمه ىلإ أموي و ،دهشم ىلإ يتأي
.ةظحل يف دامر ىلإ ناسنإ فلأ ةئامثلاث لوحيف اميشوريه ىلإ بهذي أموي و ،ةدحاو ةعفد

.ملاسلا هيلع نامزلا مامإل نيفلاخملا نم ضرلأا ناكس اثلث دابُيس هنأ تاياورلا يف انيدلو

قصة الحاج الأبهري وملك الموت

نعم، عمل ملك الموت يكون مزدحمًا أحيانًا وخفيفًا أحيانًا أخرى؛ فذلك يعتمد على الأمر الذي يصدر إليه. يفتح سجلّه صباحًا ويقول: «يا الله، علينا أن نقضي على ثلاثة ملايين اليوم». ولكن هذا لا يمثّل له شيئًا، فهو أسهل عليه من شربة الماء هذه التي أرفعها. لقد منحه الله قدرة يستطيع بها أن يقطع كلّ تلك التعلّقات بين النفس والبدن في طرفة عين.

رحم الله الحاج هاديًا الأبهري، فقد كان رجلاً حيّ القلب جدًّا. توفّي أحد أقاربنا، وكنّا نجلس هناك، فقال له أحدهم ـ وكانوا قد وضعوا الجنازة كأمانة في مكان ما لينقلوها لاحقًا إلى كربلاء وتُدفن هناك وكانوا قد دفنوه في وادي الصفا المعروف بالوادي القديم ـ: «يا حاج، إن استطعت، تعال وافعل شيئًا لهذه العائلة الحزينة، أعد الروح إليه». ففكّر قليلاً وقال: «لو كان الأمر قبل أن يموت، لاستطعت أن أفعل شيئًا، أما الآن فلا أستطيع»، أي أن نؤخر الأمر أو نفعل شيئًا. كان رجلاً حيّ القلب.

كان يقول: كنت أفكر يومًا كيف أن بعض الذين يموتون تبقى أعينهم مفتوحة وبعضهم مغمضة. كنت أفكر في هذا، وذات يوم كنت جالسًا بجانب جبل يمر به نهر، فرأيت أنه كانت هناك قرية في هذا المكان قديمًا. يقول: رأيت فجأة أن زلزالاً قد وقع، وجميع أهالي القرية ذهبوا تحت الأنقاض في منتصف الليل في ثانية واحدة. لقد خطر ببالي هذا الأمر ورأيت أنّ

الذين أصابهم ذلك كانوا على قسمين: بعضهم كانت أعينهم مفتوحة وبعضهم مغمضة. لم يمهلوا حتّى يغمضوا أعينهم، وأولئك الذين كانت أعينهم مغمضة لم يمهلوا حتّى يفتحوها. لقد أحطتُ بنفوسهم في تلك اللحظة التي أراد الله أن يريني فيها كيف كان ملك الموت يقبض أرواحهم. رأيت أن هذا أراد أن يغمض عينه فانتهى الأمر، وذاك أراد أن يفتحها فانتهى الأمر! ملك الموت لديه مثل هذه القدرة، لا يدعك تغمض عينك أو تفتحها. المهم ليس أن تكون العين مفتوحة أو مغمضة، بل أن يكون الإنسان صالحًا عند رحيله، أن يرحل سعيدًا، أو كما كان يقول المرحوم العلامة: «يرحل وهو يرقص فرحًا». أو يقول: «آه، آه، يا إلهي، تعال وانظر!».

ةصقت ذاتساً ةلاخلأا قلاخ يذلا نم فاخ ملاعلا

كان هناك عالم من الأفاضل والعلماء ومدرّسي الأخلاق، وكنت أحضر دروسه أحيانًا. كان يقول: «على الإنسان أن يكون مستعدًّا دائمًا، حتّى يذهب قبل أن يُطلب منه الذهاب». كان يلقي دروس الأخلاق ويحضرها حوالي مائتا طالب، وكان رجلاً فاضلاً وعالمًا ومجتهدًا وله كتب وأبحاث. وقد أصيب هذا الرجل بالسرطان سرطان الدم، وعندما ذهبنا لزيارته، لم يكن يُحتمل النظر إليه. بدا وكأنّ الدنيا قد انهارت على رأسه. هذا الأستاذ الذي كان يقول إنّ الإنسان يجب أن يذهب قبل أن يُطلب منه، لم يكن يسمح لأحد بالدخول إلى منزله، ولم يكن يتحدّث، وكان كلّ همّه الأدوية أن لا تبتعد عن متناول يده. حاولنا أن نذكّره بكلامه، بأنّه كان يقول لنا: «يجب على الإنسان أن يسبق عزرائيل بخطوات حتّى يبحث عنه فلا يجده!»، لكنّنا رأينا أنّه لا يستطيع أن يتنازل عن تعلّقه بالحياة، وبعد فترة توفّي على تلك الحال.

ةملاعلا موحرملا نإكيقول: على الإنسان أن يرحل من هذه الدنيا وهو يرقص فرحًا ويضحك. وهذا ما حدث له هو نفسه كما يروي الرفقاء. كنت حاضرًا في ساعاته الأخيرة، ويقولون إنه عندما شعر بالمرض في جلسة عصر الجمعة في منزله، أخذ يضحك ويقول لمن كانوا يحملونه: «قولوا لا إله إلا الله بصوت عالٍ». هذا يرحل هكذا، وذاك يرحل هكذا. هذا يبحث عن عزرائيل ويسأل: «أين أنت؟ لمَ لا تأتي؟». وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **ةَفْرَطَ مْهِداسْجَأ يفْ مْهُحاوَرْأ [رَقَتسَم] رّقتَ مْلَ مْهِيَلَع تْبَثَكْ دَقَ يتَّلا لُاجلآا لَاوَلَه**

مهحاورأ تّرقتسا املً ،دّدحملجأ كلذهنكيملول1«بِاوَّثلا ىَلِإ أَقْوَشو بِاقِعْلا نَمِ أَفْوَخ نِيَعْ

.نيعةفرطم هداسجأ يف

عيشلكيف ةزجعملا ىرييفراعلا

فعندما يأتي عزرائيل ويفعل ما يفعل، قد يتساءل الإنسان «لماذا؟»، لكنّه تساؤل يمر بالذهن سريعًا ولا يركّز فيه؛ لأنّه ينسب الأمر إلى عالم الغيب. أمّا عندما تقع الحادثة نفسها من خلال العلل المادّية، تنشأ الشبهة لدى الإنسان أن «لماذا؟». لماذا يفعل الخضر هذا؟ حسنًا، لعلّ الخضر هنا مثل عزرائيل، فما الفرق؟ فكما أن عزرائيل لا يفعل شيئًا دون إذن

1: ٣٠٣ ص ،نيقتملا ةبطخ١٩٣ ةبطخلا ،ةغلابلا جهن؛ ٢٣٧ ص ،٢ ج ،**يفاكلا لوصأ** «وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ».

وتكليف من الله تعالى، كذلك الخضر يفعل ما يفعله بإذن منه. وهنا تكمن النقطة التي كان السيد الحداد رضوان الله عليه يقولها: «لو أنّ الناس ذهبوا إلى بئر جافة ودعوا الله أن يرتفع ماؤها فاستجاب لهم، لعدّوا ذلك معجزة، ولكنهم إذا فتحوا صنبور الماء في منازلهم وجرى الماء، لا يعتبرون ذلك معجزة»، مع أنّ كليهما إعجاز. هذا كلام عارف وصل إلى مرتبة "البقاء الأتم"، فلم يعد يرى فرقًا بين سلسلة العلل المجرّدة وغير المجرّدة. إنّه ينظر إلى جميع الأحداث من زاوية ارتباطها بمبدأ الفيض بنسق واحد. فالنبيّ موسى عليه السلام يعترض ويقول: «لِمَ قتلت هذا الغلام؟!»، وهذا يقول: «إنّ سلسلة العلل واحدة، سواء كانت في الأعلى أو في الأسفل، فما الفرق؟!».

؟ءلابلا نم دب لا اذامل :الله ىلإ كولسلا نمث

،رومألأ هذهي فهتريصبرينتستو همهفحتفنيناً دار أ اذإ نإاسنلإا نإف ،ًلايلق انمّدقتا ذإ فيكو ،بولطملا غولبلا فورظلا مهلا نوّنيهيو مهذيملاتا نوّبريد الله ءايلوأ نا كا فيكا مل عيسد أدبملا ىلإ اهولصويلا ةرثكلا ملاعبا ةقّلعتملا سفنلا نورّيغيو مهقيرط نم عناوملا نوليزيا وناكا .اهودرّجيو

كان المرحوم السيّد الحدّاد رضوان الله عليه يقول مرارًا: «طالما نسير مع هؤلاء الرفقاء بسلام وأمان، فلا توجد مشكلة، فالأمر كلّه سلام وصلوات وذهاب وإياب، ونحن نضيف من عندنا: ما شاء الله، يا له من سيّد طيب! ما شاء الله، يا له من نورانيّ! ولكن بمجرّد أن نريد أن نؤدّبهم قليلاً، تعلو أصوات الجميع بالشكوى والأنين: 'لماذا هكذا؟! وماذا فعلنا؟!' ولا يعلمون أنّ كلّ هذا من متطلّبات السلوك، ويقولون لو لم يكن هذا السلوك لما حدث ذلك، مع أنّ هذا كلّه خطأ. واللطيف في الأمر هو أنّ هذه الأمور تحدث للآخرين أيضًا، ولكنّها عندما تحدث للسالك، يُعطى معها التحمّل والصبر». وكان يقول: «وبدون هذا لا فائدة، لا فائدة أبدًا».

نقل أحد الرفقاء قائلاً: كنت في طريقي إلى مكّة قبل أحداث ترحيل الإيرانيّين من العراق. وفجأة، سمعت صوتًا يقول لي: «أتَدَّعي السير في طريقنا؟».

تلق: «نعم».

اولاق: «لم يحدث لك شيء بعد، فهل أنت مستعدّ؟».

تلق: «نعم». قالوا: «فاستعدّ للبلاء واصبر». وكان من العرب.

لوقي: «عندما عدت من مكّة، وقعت تلك الأحداث، فضربوا واعتقلوا ورحّلوا، ووقعت أمور كثيرة، وكنت أنا من بين الذين رحّلوا، وابتُليت بمصائب كثيرة».

اهترارم مغر قئاقحلا ميلستلا

إن مسألة ربط القضايا والحوادث بذلك المبدأ وتلك الحقيقة هي العامل المهمّ في حركة السالك إلى الله. فأحيانًا يرى الإنسان أنّه يستطيع تحريك بعض الأوراق لصالحه، لكنّه يجد أنه غير مأذون له بذلك، ويعلم أنّ عدم تحريكها سيؤدي إلى مضارّ، فيقول: «لا بأس، فليكن ما يكون». الله يترك له الخيار: إن أردت هذا الطريق، فبسم الله، ولكن إن أردت أن ترضى بقضائي، فهذا هو الطريق ومعه هذه المصاعب. لا يمكن أن تسلك هذا الطريق وتأكل الحلوى في الوقت نفسه؛ فالحلوى موجودة في الجانب الآخر، بعد انتهاء الطريق، أما هذا الجانب فهو سراب وخيال. يرى الإنسان بوضوح أن هذا الطريق له عواقبه، ولكن عليه أن

يصبر ويعضّ على نواجذه ويتحمّل ولا يقول شيئًا. يتّهمونه وهو ينظر صامتًا، يضيّقون عليه وهو ينظر صامتًا. مع أنّه يستطيع في اللحظة نفسها أن يردّ الصاع صاعين ويغيّر مجرى الأمور، لكنّ عليه ألّا يتكلّم. ثمّ شيئًا فشيئًا، تُرفع الحجب عن عينيه، وبعد مرور فترة، لا يعود هو الشخص نفسه؛ فالعمل الذي يقوم به الآن، لم يكن ممكنًا له قبل سبع سنوات. والتحمّل الذي لديه الآن، لم يكن يملكه قبل عشر سنوات. لماذا؟ لأنّه تغيّر، وهذا التغيّر هو نتيجة لذلك التغيّر السابق، وبدونه لا يمكن أن يحدث هذا.

ي وكت ،ةقراح ةطقنلا هذه نّأ ملعي نأ هيلعف ،ديحوتلا ةطقنى لإ لصي نأ ناسنلإا دارأ اذإ ب يذتي كلا اهنم جرخين أ بجي أتلوفمكف ؟هبيذتو ديدحلا مّحلتي يتلا ةلآلا كلت متيأر لهف ،دابكلأا ديدحلا بيجعلا كاذ لعجتو نيتطقنل هنم نامحتلت؟!

دّيسلا اهلقني يتلاو ،ةبيجعلا ةياكحلا كلت يف يمورلا نيدلا للاج انلاوم لوقي امدنعو يهو ،هيلع الله ناوضر دادحلا ديسلا نع وه يذلا "درجملا حورلا" باتك لوأ يف ةملاعلا :لوقي ،يونثملا لّكقوفت ةياكح

ىدشنوخرپرگجو ىتشگ هراپ*** ىدُبفقاو دحا هوكرا نمزا

؟روطتشگ هراپ هراپمانز ىن*** روكرورغم ىا هكديوگىمهقح

:لوقي

أمد هفوجلأتماو تّتفتلا*** ينفرعدحأ لبجنأ ول

؟يمسا نمرُوطّلا عّدصتيملأ*** :ىمعلأا رُورغملا اهيأ لوقيقٌحلاف

لّحملا اذه دجوي فيكو .دعتسم لحم يف ىّلجتت نأ بجي ديحوتلا رون ةقيقح نّإ

.امامتكهنأُ دقل ،عاخنلا ىّتح هسفنرّيغدقلُّحمو هلبدإ!لاك ؟ىولحلاو زبخلاب ؟دعتسملا

ةملاعلا موحرملا ناكيقول: «كنّا في مجالس يقولون لنا فيها ما يشاؤون، وكنّا مكلّفين بعدم الجواب، فكنا ننظر بصمت، والطرف الآخر يظنّ أنه قد انتصر وغلب. عجيب! السيّد محمّد حسين لا يجيب، وهو يُهزَم علميًّا وأخلاقيًا ويُهان، ولكنّه لا يرد». كان يجب أن يجلس صامتًا. ولو أراد أن يردّ، لانتهى الأمر بكلمتين. طبعًا، لكلّ مقام مقال. وعندما تكون المسألة محورها النفس لا الحقّ والباطل، فعندها دع الخصم ينتصر، وليقل إنّ فلانًا أقوى، وليصبح هو الرئيس. دعك من هذا يا عزيزي. في النهاية، رحل العلامة ورحل ذاك، ورحل الجميع. فماذا الآن؟ هل تستطيع أن تعقد مجلسًا هناك وتتكلّم؟ في هذه الدنيا كنت تستطيع أن تطرح مسائل لتتقدّم، لكن ماذا عن الآخرة؟ فاذهب وافعلها هناك أيضًا. فمن الذي فاز في النهاية؟ الذي جلس ولم يتكلّم.

؟ملاسلا هيلعٌّيلع تكس اذامل :يلمعلا ديحوتلا ةّمق

كان باستطاعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يحسم الأمر لصالحه في ساعتين. كان بإمكانه أن يقف عند باب مسجد المدينة ويشهر سيفه ويقول:

«من كان يستطيع فليأتِ وليدخل هذا المسجد ويعتلِ هذا المنبر». فمن كان سيجرؤ؟! لكنّه لم يفعل ذلك، بل جلس في بيته. وأولئك الذين فرّوا من معركة أحد واختبأوا خلف جبال المدينة لثلاثة أيام، هم الذين أتوا ومزّقوا زوجته إربًا أمام عينيه ولم يرتفع له صوت. لماذا؟ لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله أوصاه: «يا علي! اصمت». لقد ضربوها وأحرقوا الباب. ويأتي شاعر النيل المصري ويفتخر أمام الملك فاروق فيقول: من يستطيع أن يفعل مثلما فعل عمر، الخليفة الثاني، حين وقف أمام فارس العرب وحاميها وضرب زوجته وأسقطها أرضًا؟ يعتبرون هذا فخرًا لهم!

اهيقلمِ مظعأ اهعِماسِبرمِ كأ رمُعاهَلاقٍيّلعِلٌةَلوَقو**

اهيفَطصُملا تُنبِو عِيابُتمَلإن اهِبَكيَلَعىقبُأ لاَكرادَتُقرَح**

اهيحاميو نَادَعسِرافَمأما اهِبُهوفيصِفَحىبأُريُغامكان[1]**

لهل. ثمّ يضعون الحبل في عنق أمير المؤمنين عليه السلام ويجرّونه إلى المسجد. هل يمكن تصوّر المشهد؟! هذا هو أمير المؤمنين الذي يخاف منه الجميع حتّى عمرو بن العاص الذي يقف عند القبر ويتشهّد[2] هو علي نفسه، الذي قال: من كان قادرًا على شهادة ألف مقدّم[3]، فماذا حصل؟ ولماذا لم يشهر أمير المؤمنين سيفه؟ لأنّه كان مكلّفًا بالسكوت، ولو شهر سيفه هناك، لما كان عليٌّ يشهر السيف في اليوم الأوّل؟ لأنّه كان مكلّفًا بالسكوت، ولو شهر سيفه هناك، لما كان عليٌّ يشهر السيف في اليوم الأوّل؟ لأنّه كان مكلّفًا بالسكوت، ولو شهر سيفه هناك، لما كان عليٌّ أيضًا، ولما كان أمير المؤمنين أمير المؤمنين. هناك كان يجب أن يغمد سيفه، ولكن عند قبر فاطمة عليها السلام - بالطبع لم يكن هذا قبرًا حقيقيًّا - كان يجب أن يشهره، وفي ليلة الهرير في مواجهة معاوية كان يجب أن يشهره لتقتل خمسمائة رجل حتّى الصباح[4]! ولكن عندما يسبّونه يطأطئ رأسه ولا يتكلّم. فهنا يجب أن يفعل هذا وهناك يجب أن يفعل ذاك، هكذا أصبح عليٌّ أمير المؤمنين.

لكلّ إنسان بحسب سعته، فأمير المؤمنين عليه السلام الذي وصل إلى مقام الإسلام الأعظم وله الشفاعة الكبرى يوم القيامة وهو ساقي الكوثر **وقسيم الجنّة والنار**[5]، يجب أن

---

1. ديوان حافظ إبراهيم، ج ١، ص ٨٢.
2. بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٣٠٦؛ مستدرك سفينة البحار، ج ٢، ص ٨٧٢.
3. بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٧١.
4. تفسير القمّي، ج ٢، ص ٣٢٤.
5. مقتل الحسين، ص ٤٧٦.

تكون حياته هكذا. والإمام الحسين عليه السلام يجب أن يكون هو الذي تحدث له تلك الواقعة الكبرى.

ليبلغ مقام الشفاعة

ومن البديهي أنّ أحداً لا يُجزى بقيمة الجنّة والنار جزافاً؛ فأمر الله أعظم، وأثمن. نسأله سبحانه أن يوفقنا لآن. إن شاء الله تتمة، فهل أنت مستعد لأن تكون في هذا القدر؟ نتحدث له تتمة، فهل أنت مستعد لأن تكون في هذا القدر؟ نسأل الله أن يرزقنا الاهتداء بهداية أوليائه، وأن يجعلنا من أنصار هذه المعارف بهذه المعارف.

اللهمّ صلِّ على محمد وآل محمد